

أهو أنت ...؟

ولا يندر أن يسمع منها أثناء التمثيل كلماتٍ سريعة وتعليقات مبتدرة تكشف بها — على غير قصدٍ منها — عن أعماق أعماق المرأة، وتهزأ فيها بالرياء الأنثوي الذي يبدو في خجل المرأة وامتناعها.

من ذلك أنهما شهدا رواية من روايات الثورات يبدو فيها طريداً جريحاً مهدد الحياة بجراحه، ومهدد الحياة بمطاردة أعدائه، وقد لاذ بأحد البيوت فأكرمه أهل البيت وكنتموا أمره، وتعهّدته بالعلاج فتاة فيما دون العشرين من العمر سليمة القلب وسيمة الطلعة ممشوقة القوام، فمالت إليه شفقةً ثم مالت إليه حباً، ثم تمالك نفسه بعد طول العلاج، حتى انفردا في بعض الجلسات فبلغ من سرورها به وسروره بها أن نظر إليها ونظرت إليه، وعيونهما تومض بالمحبة، ثم اعتنقا في قبلة طويلة جارفة ...

وكان بين المتفرجين على مقربةٍ منهما سيدة نصفٌ في نحو الأربعين، وفتيات ناهدات في مثل سن الفتاة، فصاحت السيدة: انظرن إلى الخائن! ... إنه خدعها! فمالت صاحبتنا وهمست ساخرةً ... أتقول خدعها؟ إنه كافأها أحسن مكافأة يستطيعها!

وهكذا كانت دار الصور المتحركة عندهما شيئاً أكثر من ملهى الفراغ وموعد اللقاء، كانت محور حياتهما الغرامية، وهل كانت لهما من حياةٍ في ذلك الحين غير الحياة الغرامية؟ وكانت ملتقى الذكريات ووسيلة التقارب والتفاهم فيما يشعران به وما يلاحظانه من أحوال المحبين والمُحَبَّات، وكانت ذخيرة من المناظر التي يقترن كل منظرٍ منها بكلمة، أو بخاطرة، أو بمناقشة، أو بأمنيةٍ يملكان تحقيقها، أو بأمنيةٍ يكتفيان منها بالحلم والخيال.

فلماً وقعت الجفوة بينهما وانقطع طريقهما إلى تلك الدار كانت كل خطوةٍ في تلك الطريق كأنما تثقل النفس بآكامٍ فوق آكامٍ من الذكريات والآلام، وكانت كل زاويةٍ من الزوايا كأنما تخفي فيها رصداً من الشياطين الثائرة والعقبان الكاسرة، وكان اجتناب تلك الطريق أسلم الأمور وأهون المحذورات.

ثم مضت الأشهر وخيّل إلى صاحبنا أنه لم يعد يُخَشَى أو يُذَكَّر، فاجترأ على العبور بالطريق مرةً بعد مرة، وعَبَّرَ بها ثلاث مرات أو أربعاً على الأكثر، وكانت الرابعة هي التي فوجئ بها هذه المفاجأة التي لم تكن في الحسبان.

إنه لم يرَ صاحبتَه بعد اللقاء الأخير في أثناء تلك الأشهر الموحشة؛ لأنه اجتنب الأماكن التي عساه أن يراها فيها، ولزم بيته في معظم الأيام وقد علم أنه ما من مرتادٍ أو متنزهٍ